لوقا ويوحنا: تفسيران ليسوع

الإنجيلان بحسب لوقا ويوحنا

غريغ بلومبرغ دكتور
أستاذ دكتور في معهد دنفر للاهوت، الكائن في مدينة ليتلتاون، بولاية كولورادو

الملاحظات

جميع الحقوق محفوظة. أي جزء من هذا المنشور قد تكون مستنسخة في أي شكل أو بأي وسيلة من أجل الربح، إلا في الاقتباسات وجيزة لأغراض الاستعراض، تعليق، أو منحة دراسية، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

غريغ بلومبرغ دكتور

أوّلاً: إنجيل لوقا

ننتقل في هذا الدرس من إنجيلي مرقس ومتّى لنتعرَّف على إنجيلي لوقا ويوحنا. ومرةً أخرى نبدأ بالفكر اللاهوت الذي يتميّز به كل واحد من هذين الإنجيلين.

أ. لاهوته

في ما يتعلَّق بإنجيل لوقا، يشعر كثيرون من القرّاء أن بشرية يسوع، خاصّة رحمته ورأفته تجاه الطبقات المنبوذة اجتماعيًا، تبرز واضحةً مثل أي موضوع آخر. ثمة فئات عديدة للمنبوذين اجتماعيًا الذين اهتمّ يسوع بشكلٍ خاصّ بهم كما يظهر في إنجيل لوقا. ومن ضمن هذه الفئات السامريون والأمم، وهم خارج شعب إسرائيل. ففي إنجيل لوقا فقط نقرأ مثل السامري الصالح. وفي إنجيل لوقا فقط نقرأ قصّة البُرص العشرة الذين شفاهم يسوع، حيث الرجل الوحيد الذي عاد ليقدّم الشكر كان سامريًا. و»العشارون والخطاة» عبارة مثيرة للاهتمام تظهر متكرّرة في أجزاء كثيرة من إنجيل لوقا، وهي تعكس فئةً أخرى من المنبوذين اجتماعيًا، وهم ليسوا من الفقراء هذه المرة، ولكن من الموسرين، والذين نرى يسوع في لوقا يهتمّ بهم اهتمامًا كثيرًا. وفي إنجيل لوقا فقط نقرأ عن قصة القصير زكا، وهو عشّار تائب تسلّق شجرة جمّيز ليرى الرب.

وتشكّل النساء فئةً أخرى من المنبوذين اجتماعيًا الذين يتلقّون اهتمامًا خاصًّا من الرب يسوع. فتركّز قصة ولادة يسوع في لوقا على أليصابات، أم يوحنا المعمدان، ومريم، أم يسوع. كما يُعرَف لوقا بأنه يقدّم في إنجيله زوجين من الأمثلة على رجالٍ ونساء تتشابه وتتوازى قصصهم. فحنة وأليصابات، في قصص الولادة، تنشِدان التسابيح وتعلِنان مجيء المسيح والأحداث المحيطة بولادة يسوع. لوقا هو الوحيد الذي يجمع مثل الخروف الضال مع الدرهم الضائع، حيث الشخصية الأولى في المثال هي الراعي الذكر، بينما في القصة الثاني امرأة أو ربة منزل. وربما أشهر قصّة عن نساء في إنجيل لوقا هي قصة مريم ومرثا، حيث نرى عند يسوع نظرة مخالفة لما هو مقبول في الثقافة السائدة إذ لم يمتدح مرثا على ضيافتها اللائقة ودورها المنزلي الرائع، وامتدح مريم التي نراها جالسةً عند قدميه وتريد أن تتعلّم منه كتلميذٍ من رابي – حاخام، وهي ممارَسة كانت في معظمها ممنوعةً على النساء عند الرابيين الآخرين.

وثمّة فئة أخرى من المنبوذين اجتماعيًا الذين كانوا يحتاجون لاهتمامٍ خاصّ من يسوع، وهم المساكين بشكلٍ عام. ففي لوقا فقط نرى تطويبات العظة في السهل تركّز الانتباه على المساكين الفقراء بدلاً من المساكين بالروح، كما في إنجيل متّى. وفي لوقا فقط نقرأ عن إعلان يسوع الناصري بأنّه يتمّم نبوة إشعياء ٦١: ١، التي من ضمن ما تتحدّث عنه حلول روح الرب ومناداته بالأخبار السارة للمساكين والفقراء. ولوقا هو الوحيد الذي يحتوي على مثلي الغني الغبي والغني ولعازر، حيث يُدان الغنيان لأنهما بأنانيتهما اهتمّا بغناهما بحيث لم يتجاهلا الفقراء فحسب، بل ولم يتوبا أيضًا، أي أنّ قلبيهما لم يصيرا صحيحين أمام الله. اللقب الذي يناسب يسوع بشكلٍ ممتاز وطبيعي بسبب بشريته

©2015 حقوق الطبع محفوظة لـ»الجامعة المسيحية الدولية عبر الإنترنت. جميع الحقوق محفوظة

الملاحظات

ورأفته، وهو لقب يتفرّد به إنجيل لوقا، هو «المُخلِّص».

وكذلك يرد في النص اليوناني التعبير «خلاص» والفعل «يخلّص» في لوقا بشكلٍ أكثر تكرارًا من أيّ إنجيل آخر. وقد حاول بعض المُفسّرين أن يُظهِروا أن الخلاص هو في الحقيقة الموضوع المكوّن من كلمة واحدة الذي يقدّم أفضل تلخيص للاهوت إنجيل لوقا. ويمكن اعتبار لوقا ١٩: ١٠ الآية التي تقدّم ملخَّص هذا الموضوع، حيث يتكلّم يسوع عن مجيئه ليطلب ما قد هلك. وفي إنجيل لوقا، يعلّم يسوع بأمثالٍ أكثرَ من أي إنجيلٍ آخر ربما بمقدار الضِّعف. وقد ذكَرْنا عدة أمثالٍ كأمثلة على مواضيع ذكرنا وأشرنا إليها حتّى الآن.

ب. لوقا: المؤرّخ المسيحي الأول

دُعي لوقا أيضًا «المؤرّخ المسيحي الأول». ليس المقصود هنا أن متّى ومرقس لم يسردا تاريخًا، إن كانا قد سبقاه، ولكنّ لوقا كان أول كاتب من كُتّاب الأناجيل يفكّر بوعيٍ وقصد بمنهجية المؤرّخ اليوناني الروماني. لوقا هو الوحيد الذي في الأصحاحات الأولى من إنجيله يتحدَّث عن الأحداث التي أحاطت بولادة يسوع وبداية خدمته وهو رجل في سياق أحداث كبيرة في الإمبراطورية الرومانية: مَن كان الإمبراطور، مَن كان حاكم سوريا، مَن كان رؤساء الكهنة اليهود، وغيرها من المسائل.

في المجلّد الثاني الذي كتبه لوقا، سفر أعمال الرسل، كان لوقا مهتمّا بشكلٍ خاصّ بالدقة في أن يروي القصّة بشكلٍ متسلسل وبذِكر الأحداث المتزامنة الأخرى خارج موضوع قصته. وبالإضافة إلى كون لوقا المؤرِّخ المسيحي الأول، فهو أيضًا أوّل شخصٍ نظرَ بشكلٍ جادّ إلى فترة طويلة نسبيًا ضمن تاريخ الكنيسة. من المؤكّد أنّه البشير الوحيد الذي نعرف أنّه كتب مجلّدًا ثانيًا كتتمّةٍ لإنجيله (وفي هذه الحالة هذا المجلد هو سفر أعمال الرسل)، وقد كتب بإحساسٍ مستمرّ بأن الكنيسة ستبقى موجودة لمزيدٍ من الوقت بالرغم من تصريحات يسوع التي قادت بعض أتباعه الأوائل للإيمان بأنه سيعود خلال فترة حياتهم – ضمن جيلٍ من الزمن. وربما يكون لوقا قد فهم بوضوح أكثر من الآخرين أن كلمات يسوع لم تكن بتلك الدقة والتحديد، وبأنّه لا بدّ من مرور فترة زمنية غير مُحدّدة إلى أن يعود المسيح.

ت. مواضيع فريدة في إنجيل لوقا

نظرة بسيطة إلى فهرس المواضيع تشير إلى مواضيع مميّزة عدة في إنجيل لوقا، ومنها الاهتمام بخدمة وعمل الروح القدس، وتعليم يسوع التلاميذَ عن الصلاة ، وموضوع الفرح. ومرة أخرى أقول إنّه بعد عمل مسحٍ للمواضيع اللاهوتية التي يركّز عليها إنجيل ما، يكون طبيعيًا أن يُطرَح السؤال عن الظروف التي أدّت إلى كتابة هذه الوثيقة. هناك مَن شدّد على موضوع التأخُّر الواضح لعودة يسوع المسيح، ولذا فهم مقتنعون بأن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون قد كُتِب في القرن الميلادي الأوّل.
كما أن التفاصيل الواردة في رواية لوقا عن نبوّات يسوع بشأن تدمير الهيكل تفاصيل أوضح من تلك التي نراها في متّى أو مرقس. فبدلاً من الحديث عن رجسة الخراب الغامضة، نقرأ في لوقا ٢١: ٢٠ فصاعدًا عن تعرُّض أورشليم للحصار من جيوشٍ أجنبية، وبأنّها ستتعرَّض للدمار إلى أن تتم أزمنة الأمم. ويرى البعض أن هذه إشارة إلى الحقيقة بعد حصولها وذلك لتقديمها وصفًا دقيقًا لطريقة تتميم نبوة يسوع عن دمار الهيكل وأورشليم. ومن ناحية أخرى، فإننا نستطيع أن نقبل أننا أمام نبوّة فوق طبيعية حقيقية، وهو ما كان عنصرًا يرى في تعليم المسيح، ليس مستحيلاً أن يكون يسوع قال هذه الكلمات بأكثر وضوحٍ، بالإضافة إلى كلماته الأكثر غموضًا في روايات الأناجيل الأخرى.

ث. لوقا والأعمال

النهاية المفاجئة لسفر الأعمال قد تكون أكثر نقطة تأثيرًا في تحديد السياق الذي كتب لوقا فيه. فإن قرأ المرء إنجيل لوقا وسفر الأعمال بالتتابع، يكتشف أن حوالي ثلث مُجلَّد لوقا الثاني، أي سفر الأعمال، يتعلّق برحلة بولس إلى أورشليم، والقبض عليه وسجنه، وخضوعه للاستجواب ومثوله أمام قضاة وحكّام وملوك، ورفع دعواه في النهاية إلى قيصر في روما، حيث ذهب في رحلةٍ غير موفّقة تحطّمت فيها السفينة، ولكنّ سفينةً أخرى أوصلت بولس ورفاقه الآخرين من السجناء إلى روما، حيث انتظر نتائج دعواه التي رفعها إلى الإمبراطور. يُختَتم سفر الأعمال، في الأصحاح ٢٨، حيث يُخبِرنا لوقا أن بولس بقي في الإقامة الجبرية في بيته مدّة سنتين كان فيهما يكرز ببشارة الإنجيل بحرية

©2015 حقوق الطبع محفوظة لـ»الجامعة المسيحية الدولية عبر الإنترنت. جميع الحقوق محفوظة

الملاحظات

وبلا مانع إلا بكونه لم يكن يستطيع مغادرة منزله، وبأنه كان مُقيّدًا بسلسلةٍ طويلة بجنديّ روماني. ومع هذا، فإنّه بقراءة سفر الأعمال والوصول إلى النهاية، يتساءل القارئ عمّا حدث لدعواه المرفوعة للإمبراطور. ولكنّ كاتب الأعمال لا يخبِرنا بما حدث.

ثمّة أسبابٌ ممكنة ومعقولة لرغبة لوقا بأن يختم قصتّه بهذه الطريقة من دون الخوض في مزيد من الشرح. كانت روما هي العاصمة، المدينة الكُبرى، وقلب الإمبراطورية. ويتعلّق جزءٌ كبير من تسلسل سفر الأعمال بتقدّم بشارة الإنجيل من أورشليم إلى ما حولها وصولاً بالتدريج إلى روما في النهاية. ربما أراد لوقا أن ينهي في هذه النقطة، ولكنّ هذا لا يقدّم إجابةً تامّة عن السؤال: لو كان يعرف المزيد، فلماذا لم يخبِرنا بما حدث بعد ذلك في حياة الرسول بولس؟ يرى كثيرون من المُفسّرين أن الإجابة تاريخية، فأبرز ما في ختام سفر الأعمال هو إشارته إلى احتمال أن يكون لوقا قد كتب فورًا بعد الأحداث التي تُروى في السفر، ولهذا لم يكُن لديه مزيدًا ليقوله.

ج. تاريخ كتابة إنجيل لوقا وهوية كاتبه

إن ربطنا المعلومات التي لدينا من المؤرّخين غير المسيحيين الآخرين مع المعلومات التي نراها في سفر الأعمال، يصعب إرجاع ختام نهاية رواية سفر الأعمال إلى ما بعد العام ٦٢ م. وإن كان الأمر كذلك، فإن إنجيل لوقا، بصفته المُجلَّد الأول في سلسلته المكوّنة من مُجلَّدين، فلا بُدَّ أن يكون قد كُتِب قبل ذلك بفترةٍ قصيرة – ربما عام ٦١ م. إن كانت كل هذه الافتراضات صحيحة، فإننا لا نستطيع إرجاع كتابة إنجيل لوقا إلى ما بعد عام ٧٠ م، أي بعد سقوط أورشليم. ولذا، فإنّه ينبغي تفسير الوصف الأوضح لسقوط أورشليم بطريقةٍ غير التاريخ المتأخّر لكتابة الإنجيل. كما أنّ ثمّة ظروفًا أخرى تنطوي على شيءٍ من الغموض والتخمين.

واضحٌ أن لوقا يبدو أمميًا. المكان الوحيد الذي يظهر فيه اسمه بوضوح في الكتاب المُقدّس هو في نهاية رسالة كولوسي. وفي كولوسي ٤: ١٠–١٤ يميّز بولس بوضوح ما بين رفاقه اليهود ورفاقه غير اليهود، وهو يشمل لوقا ضمن المجموعة الثانية. كما يظهر لوقا بشكلٍ ضمني وغير واضح في سفر الأعمال، حيث يتوقّف الراوي في خمس مناسبات عن استخدام ضمير الغائب، ويكتب باستخدام ضمير الجمع المتكلّم: «عملنا هذا ... عملنا ذاك.» ونحنُ نلتقي بلوقا أول مرة، وبعد ذلك أيضًا، في رحلات بولس في أراضي ومناطق الأمميين. لا يضيف تاريخ الكنيسة الكثيرَ إلى هذه الاستنتاجات التي نصل إليها من الوثيقتَين الكتابيتَين. يقدّم إيريناوس بعض النقاش المُفصّل عن أعمال وأنشطة لوقا، ولكنّ الإطار الزمني الوحيد الذي يضع هذه الأنشطة ضمنه هو في وقتٍ ما بعد كتابة إنجيلَي متّى ومرقس. ويبدو أن أفضل تاريخ يمكننا إعطاؤه لكتابة الإنجيل هو ستينيات القرن الأول. لكن لو كان هناك شرح مختلف لنهاية سفر الأعمال، لكان ممكنًا أن يكون الإنجيل قد كُتِب بعد عام ٧٠ م.

ح. قرّاء إنجيل لوقا الأصليون وهدف الإنجيل

كما أنّ ثمة شيئًا من التخمين بشأن اهتمام لوقا بموضوع الغنى والفقر، وهو ما يتناسب مع مسار الأمور الذي يمكننا تتبّعه في سفر الأعمال والرسائل، والذي يشير بشكلٍ رئيسي وعامّ إلى جماعة فقيرة من أتباع يسوع عبر الزمن مع نمو الكنيسة، وهو وقتٌ أيضًا سمح بوجود أقلية واضحة من المؤمنين المتمدنين في الطبقة الوسطى، هذا إن لم يكن هناك مسيحيون ميسورون في بعض الأحيان. ولذا، فإنّه من المحتمل جدًا أن قرّاء لوقا الأصليين لم يكونوا أمميين بقدر ما كانوا خليطًا من طبقات اجتماعية اقتصادية، وأن لوقا كان مهتمًّا جدًا بألا ينسى المسيحيون الميسورون مسؤوليتهم تجاه إخوتهم وأخواتهم الفقراء.

نقرّ بأن الكثير من هذه الأمور استنتاجية، ومع هذا فإن لوقا يقدّم لنا معلومةً أقوى وتختلف عن أي شيءٍ رأيناه في متّى ومرقس حتى الآن، وهو أنّ كاتب هذا الإنجيل هو الوحيد، من بين الأناجيل الإزائية، الذي يقدّم بيانًا واضحًا عن هدف إنجيله. وهذا الهدف يمثّل تمهيدَ إنجيله، التي تشكّل الآيات الأربعة الأولى في لوقا ١: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصّة في الأمور المتيقّنة عندنا، كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذُ البدء معاينين وخدّامًا للكلمة، رأيتُ أنا أيضًا إذ قد تتبّعت كلّ شيءٍ من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيُّها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحّة الكلام الذي علِّمت به.» تشابه هذه المُقدّمة المُقدّمات الأخرى التي تُرى عند مؤرّخين رومان ويونانين آخرين، وينبغي أن تبثّ

©2015 حقوق الطبع محفوظة لـ»الجامعة المسيحية الدولية عبر الإنترنت. جميع الحقوق محفوظة

الملاحظات

الثقة في أهداف لوقا التاريخية الكامنة وراء كتابته هذه الوثيقة. كان لوقا يعمل كمؤرّخ أمين، فقابل شهودَ عيان، وكان يدرك بوجود روايات مكتوبة سابقة، وقد رجع إلى كل هذه المصادر، بما في ذلك التقاليد التي كان يتم تناقلها شفاهًا، والآن هو يؤلِّف رواية متسلسلة ومُنظّمة وموضوعية – إنجيلاً مُصمّمًا لإقناع القراء بيقينية الأمور التي تعلّموها.

في العالم القديم، كان أمرًا اعتياديًا أن يرعى ويموّل بعض الموسرين مشاريع كتابة مكلفة، مثل تأليف إنجيل، وكانت الكُتُب تُهدى لهم. ولذا، فإن ثاوفيلوس، سواء أكان مسيحيًا أم لا، من شبه المؤكّد أنه كان راعيَ هذا المشروع، أي الذي موّل بحث لوقا التاريخي وساعده في كتابة كتابه. وربما كان شخصًا باحثًا عن الحق، وكان يرغب بمعرفة المزيد عن الإيمان المسيحي، أو كان مؤمنًا جديدًا. على جميع الأحوال، كان لوقا يريد أن يبثّ فيه الثقة بصحة الأحداث التي يوشِك أن يدوّنها. ونقول مرةً أخرى إن العلماء المعاصرين كثيرًا ما شكّكوا بهذه الاستنتاجات، مثلما شكّكوا بكتابة متّى لإنجيل متى ومرقس لإنجيل مرقس. بل هناك من يتساءلون إن كان لوقا، «الطبيب الحبيب» (وهذا وصف بولس له في رسالة كولوسي)، هو مَن كتب هذا الكتاب فعلاً. ولكنّنا نقول مرةً أخرى إن الغموض النسبي للشخصية محل الدراسة والتساؤل يميل نحو تفضيل الرأي التقليدي.

خ. بنية إنجيل لوقا

حين ينظر المرء إلى بنية إنجيل لوقا يرى تناوُبًا مثيرًا ما بين الأقسام، التي فيها يتبع مرقس والتي لا يتبع مرقس، كما نرى تقدُّمًا جغرافيًا موحّدًا في لوقا أكثر مما نرى في الروايات الإنجيلية الأخرى. ففي البداية يحدّد سياق ولادة يسوع ضمن إطار أحداث التاريخ الروماني. والجزء الأول من خدمة يسوع وهو رجل يُحدَّد بشكلٍ حصري تقريبًا في الجليل. ثم، نرى لوقا وهو يشير إلى أن يسوع ثبّت وجهه نحو أورشليم، وهو الإنجيل الوحيد الذي يعمل هذا. فنراه ينطلق أولاً إلى السامرة، ليقترب في النهاية من أورشليم عبر اليهودية. وإنجيل لوقا هو الوحيد الذي يحصر ذروة خدمة يسوع في أورشليم، حيث لا نرى أي ظهورات له بعد قيامه في أي مكان غير أورشليم، على خلاف رواية متّى ويوحنا. ويبدو أن لوقا يقدّم تسلسلاً جغرافيًا هو عكس التسلسل الجغرافي الذي يقدّمه في سفر الأعمال. ففي أعمال ١: ٨ نرى أن التلاميذ يُوصَون بأن يكونوا شهودًا ليسوع بدءًا من أورشليم، ثمّ «في كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض.» حين نتذكّر أن منطقة الجليل كانت تُعرَف بـ«جليل الأمم» في القرن الميلادي الأول، يمكننا أن نرى التقدُّم نحو الجليل كجزءٍ من الانطلاق إلى كلِّ الإمبراطورية الرومانية.

ثانيًا: إنجيل يوحنا

هذا يتركنا مع آخر إنجيل، إنجيل يوحنا، في هذا المسح السريع والمختصر. وكما ذكرنا في درسٍ سابق، فإن يوحنا يختلف شيئًا ما عن الأناجيل الإزائية المتشابهة، ويمكننا أن نقدّم قائمة مطوّلة بالفروقات، ولكننا سنكون مختصرين ونقدّم بعض البنود والنقاط فقط.

أ. لاهوت إنجيل يوحنا

في ما يتعلّق بالفكر اللاهوتي للإنجيل ونظرته ليسوع، مثير أن نرى أن يوحنا أيضًا يقدّم في إنجيله بيانَ هدفه، ولكنّه بيانٌ أقصر بكثير ممّا في لوقا. فيقول في يوحنا ٢٠: ٣١ إنّه كتب هذه الأمور «لتؤمنوا أنّ يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياةٌ باسمه.» مثير للانتباه أن هذين اللقبين، «ابن الله» و«المسيح»، هما اللقبان اللذان يبدأ بهما إنجيل مرقس، مِمّا يذكّرنا بوجود تداخل عظيم بين الأناجيل، حتّى حين نركّز على الفروقات بينها.

لكنّ إذا انتقلنا إلى الأمور التي يشدّد عليها إنجيل يوحنا فقط بشأن يسوع، فإننا نجد أن يسوع لا يُدعى إلا في إنجيل يوحنا بـ«اللوغوس»، «الكلمة»، «الكلمة المتجسد»، وحمل الله. ففي إنجيل يوحنا فقط نجد أقوى وأوضح التصريحات التي تعرِّف يسوع بكونه الله نفسه، ناسبةً له الألوهية. وليس فقط من خلال قوله «كان الكلمة الله» (يوحنا ١: ١)، إذ نسمع أيضًا توما يعلِن: «ربي وإلهي» بعد القيامة في يوحنا ٢٠: ٢٨. ويصف يسوع الوحدانية الفريدة التي له مع الآب في يوحنا ١٠: ٣٠. ويوحنا هو الوحيد الذي يشتهر بأقوال «أنا هو»، التي فيها يقول عن نفسه: «أنا هو خبز الحياة ... أنا هو الماء

©2015 حقوق الطبع محفوظة لـ«الجامعة المسيحية الدولية عبر الإنترنت. جميع الحقوق محفوظة

الملاحظات

الحي ... أنا هو القيامة والحياة ... أنا هو الطريق والحق والحياة ... أنا هو الكرمة الحقيقية.»

ومن المواضيع الأخرى التي يتفرّد بها يوحنا التشديد على الحياة الأبدية، التي تبدأ الآن – في الزمن الحاضر، وليس في المستقبل. كما نرى في هذا الإنجيل تشديدًا على المعجزات كآيات يُقصَد بها أن توجّه الناس إلى الإيمان بيسوع، كما نرى فيه التعاليم الخاصّة للتلاميذ في مناسباتٍ حميمة وذات خصوصية، خاصّةً حديثه الوداعي الطويل في يوحنا ١٣–١٧ في العلية في الليلة الأخيرة له قبل الصلب. وثمّة مواضيع تظهر في هذا الحديث يتفرّد بها إنجيل يوحنا، ومنها الوحدة بين الآب والابن والروح القدس، وفي هذا نرى بدايات عقيدة الثالوث، كما نرى الوحدة التي ينبغي أن تكون لدى التلاميذ مع الله وبعضهم مع بعض. كما يحتوي إنجيل يوحنا على إعلاناتٍ قوية جدًا عن ما يُدعى غالبًا الضمان الأبدي للمؤمن في مقاطع مثل يوحنا ٦: ٣٩ ويوحنا ١٠: ٢٩، يقابلها ويوازنها وصايا يسوع للتلاميذ بأن يبقوا فيه ويثبتوا فيه.

يتحدَّث إنجيل يوحنا عن موت يسوع باعتباره رفعًا وتمجيدًا. فقد قال يسوع في يوحنا ١٢: ٣٢: «وأنا إنْ ارتفعتُ عن الأرض أجذب إليّ الجميع.» وإنجيل يوحنا هو الوحيد الذي يتحدّث عن عمل الروح القدس بصفته «البارقليط»، المُعِين، المُفسّر أو الشاهد، المحامي والمُعلِن. ولكنْ مثيرٌ أن يوحنا لا يقول شيئًا عن معمودية يسوع أو رسمه للعشاء الرباني، مع أنه في الوقت نفسه يقدّم وصفًا تفصيليًا أكثر للأحداث التي أحاطت بهذين السرّين/ الفريضتَين. استنتج البعض أن يوحنا، في نهاية القرن الميلادي الأول، كان يحارب ما كان يصير شيئًا فشيئًا نظرةً تبجيلية مبالغ بها إلى المعمودية والعشاء الرباني، ربما وسط الذين آمنوا أن هذين السرّين كانا في ذاتهما يمنحان الخلاص. وثمّة مواضيع أخرى تبدو فريدةً أو يتمّ التشديد عليها بشكلٍ فريد في إنجيل يوحنا، مثل المقارنة بين النور والظلمة، والدينونة والمحبّة، والحياة والموت. كما تتكرّر في الإنجيل كلماتٌ لها أهميتها فيه مثل «العالم» و«الشهادة» و«الحق» و«الثبات».

ب. فرادة إنجيل يوحنا

ما سبب كون إنجيل يوحنا مختلفًا جدًا؟ ما الظروف التي أدّت إلى إخراج هذا الإنجيل المختلف جدًا؟ لسنوات كثيرة كان هناك اعتقاد وسط البعض بأنّه لأن التقليد الكنسي القديم قال إنَّ إنجيل يوحنا هو آخر إنجيل كُتِب، فقد كان آخر إنجيل في سلسلةٍ طويلة من تطوُّر الفكر المسيحي، بعيدًا عن الفكر الأصلي والحقيقي ليسوع اليهودي. لكن باكتشاف لفائف قمران اكتشفنا أن بعض التعابير التي كان في السابق يُظَن أنها يونانية أو غنوسية (مثل التقابل الشديد بين النور والظلام، وبين أبناء النور وأبناء الظلام) قد ظهرت بشكلٍ مفاجئ في سياقاتٍ يهودية تمامًا أيضًا.

ما نعرفه من التقليد الكنسي القديم هو أن يوحنا كتب إنجيله في أفسس وحولها وهو متقدّم جدًا في السن – الراجح في الثمانينيات أو التسعينيات من عمره، وربما حصل هذا في فترة حكم الإمبراطور دومتيان، في فترةٍ برزت فيها الغنوسية. وإن كان يوحنا قد استخدم لغة معروفةً جيدًا في الدوائر الفلسفية والغنوسية، فربما قصد في هذا أنْ يستخدم لغةً يفهمه الناس، ومن ثمّ كان يحاول إعادة شرح تلك اللغة واستخدامها في سياق مختلف وإعطائها مغزى مختلفًا. آمن الغنوسيون أن يسوع كان الله، لكنّهم كانوا يجدون صعوبة في بشرية يسوع. فإن عدتَ إلى دراستنا حول الغنوسية، تجد أنهم كانوا يؤمنون أن العالم المادي شرّير في ذاته.

وهكذا، يبدأ يوحنا إنجيله حيث هم: «في البدء كان الكلمة، وكان الكلمة عند الله، وكان الكلمة الله.» ولكنْ حين نصل إلى يوحنا ١: ١٤، نراه يشدّد على أن «الكلمة صار جسدًا وحلّ بيننا.» ولكنْ ثمّة أمور أخرى كانت تحدث في أفسس في نهاية القرن الأول، وأحد هذه الأمور وجود عداوة كبيرة داخل المجامع اليهودية تجاه المسيحيين. ويمكن أن نقرأ عن هذا الأمر في رؤيا ٢: ٩. وهكذا، نرى مسارًا مختلفًا تمامًا لتعليم يسوع في هذا الإنجيل – مسارًا يمتاز به إنجيله، يشتمل على شيءٍ من النزاع مع اليهود. يوحنا هو الوحيد الذي يشير إلى ذهاب يسوع إلى أورشليم أكثر من مرة في فترة خدمته، مشيرًا بهذا إلى أن يسوع هو التتميم الحقيقي لكلِّ الأعياد اليهودية الكُبرى. هذا معقول تمامًا مشابهًا بهذا إنجيل متّى في وجود بُعدٍ آخر في المجتمع الذي كان يوحنا يكتب إليه، وهو أن يكون لدى يوحنا نزاع مع يهودٍ غير مسيحيين قريبين بدلاً من وجود عداوة علنية. ما سبب كون إنجيل يوحنا مختلفًا؟ ثمة

©2015 حقوق الطبع محفوظة لـ»الجامعة المسيحية الدولية عبر الإنترنت. جميع الحقوق محفوظة

الملاحظات

إجاباتٌ أخرى كثيرة يمكن تقديمها أيضًا. إحدى تلك الإجابات أنّه من المرجّح أنه الوحيد الذي عمل بشكلٍ مستقلّ عن متّى ومرقس ولوقا. وربما ما كان يوحنا سيبدو مختلفًا ومميّزًا لو كان لدينا أربع شهادات مستقلّة بعضها عن بعض.

ت. هوية كاتب إنجيل يوحنا

مَن هو يوحنا؟ يميل تاريخ الكنيسة بشكلٍ قوي للاعتقاد بأنه الرسول يوحنا، المعروف بذلك الاسم، مع أن ثمّة اقتباسًا من بابياس، وهو أحد الكُتّاب المسيحيين القدماء، يثير شيئًا من الشك حول وجود رجلٍ آخر اسمه يوحنا كان شيخًا في الكنيسة الأولى. إن كان هذا الرجل الآخر، المدعو يوحنا أيضًا، تلميذًا ليوحنا الأول، هو الكاتب، فإنه يمكن إعادة كل كتابات «يوحنا» إلى نهاية القرن الأول من دون وجود ضرورة للاعتقاد بأن يوحنا، الكاتب، كان رجلاً مسنًّا جدًا حين كتب إنجيله. ولكن معظم تاريخ الكنيسة والأدلة التقليدية تميل للاعتقاد بأن الكاتب هو الرسول يوحنا. وبعض العلماء المعاصرين يتجاوزون هذه الفكرة، إذ يعتقدون أنهم يستطيعون رؤية مراحل تحرير في إنجيل يوحنا، أكثر مما هو في الأناجيل الإزائية المتشابهة. ولكن الميل العام وسط العلماء يبدو أنه يتحوّل للاعتقاد بوحدة الأسلوب الأدبي في كل هذا الإنجيل.

ث. بنية إنجيل يوحنا

تشابه بنية إنجيل يوحنا بنية إنجيل مرقس في كونه يُقسَم إلى نصفين متساويين تقريبًا بشكلٍ جميل، بحيث يركّز النصف الأول على سبع معجزات أو آيات، مرتبطة بسبعة قصص أو أحاديث أو عظات. ومرةً أخرى نقول إن معظم، لا كلّ، هذه المعجزات لا ترد إلا في إنجيل يوحنا، إذ كان يوحنا يقصد ألا يكرّر ما علّمه المسيحيون السابقون في أجيالٍ سابقة. أما النصف الثاني من الإنجيل فيتعلّق بأحداث أسبوع المسيح الأخير. ويشابه إنجيل يوحنا إنجيل مرقس أيضًا في رواية أحداث الأسبوع الأخير بتفصيل كثير. وفي هذا الجزء، نرى تداخلاً وتشابهًا عظيمًا بين إنجيل يوحنا والأناجيل الإزائية. ومهما كانت الفروقات، فإن الكاتب يذكّرنا في نهاية الإنجيل إن المعجزات والألم، المجد والعار، الانتصار والصليب، تلخّص جميعُها خدمة يسوع، مهما كان الإنجيل الذي نقرأه.

جميع الحقوق محفوظة. أي جزء من هذا المنشور قد تكون مستنسخة في أي شكل أو بأي وسيلة من أجل الربح، إلا في الاقتباسات وجيزة لأغراض الاستعراض، تعليق، أو منحة دراسية، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.